يوسف ذنون أمير الخطاطين

١٩٣١ - ٢٠٢٠

مراقيد

من زمن التتوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العـدد (4809) السـنة الثامنة عشـرة
الخميـس (12) تشـرين الثانـي 2020

WWW. almadasupplements.com

3

يوسف ذنون.. خبير الدنيا في الفنون الإسلامية

باحث قدير، وخطاط كبير، وواحد من النوادر الذين يملكون كنوز معرفية هائلة القيمة، وخبير عالمي في العمارة والفنون، ملأ المساجد خطوطا، وملأ الخطوط إبداعًا، وملأ الإبداع روعة، وزين كل ذلك بزخرفة جميلة، أمير الخط وفنونه، وكبير تاريخه وشؤونه، ولا يكاد يذكر إلا ويذكر الخط العربي وجماله وأصالته، وكماله ونضارته، وروعته، وللزخرفة حوله حلاوها وطلاوتها، دوح كثير الثمار، وروض بهي معطار، علم ندر أن يجود بمثله الزمان، وعالم قل أن ينبت نظيره المكان، يدعو إلى الله بفنه وعمله، ويرغب إليه ببذله وحلمه، يمثل أحد رواد الصحوة التي يشهدها الخط العربي في السنوات الأخيرة.

يوسف ذنون.. أمير الخطاطين

د. علي عفيفي علي غازي

ولد شيخ خطاطي الموصل بمحلة باب الجديد في مدينة الموصل بشمال العراق في ١ يوليو ١٩٣١م/ ١٤ صفر ١٣٥٠هـ، وقرأ القرآن الكريم في الكتاب، ثم بدأ تعليمه الابتدائي بمدرسة ابن الأثير في عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، وأكمل تعليمه المتوسط والثانوي بمدارس الموصل، وحصل على دبلوم المعلمين في التربية الفنية والفنون الإسلامية في عام ١٩٥١م/ ١٣٧٠هـ، ثم التحق يعمل مشرفا تربويا بوزارة التربية العراقية، ويمارس تدريس التربية الفنية والخط العربي، وأشرف عليها لمختلف المراحل الدراسية في العراق وخارجه، كما أشرف على هذه المادة في مديرية التربية العراقية ولجانها ونشاطاتها المختلفة كالمناهج والدروس التدريبية والمحاضرات والمعارض وغيرها، ودرّس الخط العربي في معهد المعلمين بين عامي ١٩٦٢-١٩٦٩، وأحيل للتقاعد في عام ١٩٨١، وعقد ندوات ومحاضرات في تاريخ الخط، وأقام دورات لتعليم هذا الفن الإسلامي الأصيل بمعظم مدن العراق. وحصل على الدكتورة من جامعة الموصل، والدكتوراة الفخرية من الأكاديمية العالمية لعلماء الصوفية بلندن في عام ٢٠١٩.

أجازه الخطاط التركي حامد الآمدي (١٨٩١-١٩٨٢) في عام ١٩٦٦م، كما منحه شهادة تقديرية منه بتفوق في عام ١٩٦٩. وأقام عدة معارض للخط العربي محليًا وعربيًا وعالميًا، وشارك في العديد من مهرجانات الخط العربي والزخرفة الإسلامية منذ عام ١٩٦١، منها مهرجان بغداد العالمي الأول عام ١٩٨٨، والمغاربي الأول عام ١٩٩٠، ومعرض سحرة الأرض بباريس في عام ١٩٨٩. وشارك في تأسيس بعض معاهد الخط والزخرفة، مثل معهد الفنون الإسلامية في جامعة البلقاء في الأردن، وتأسيس جمعية الخطاطين الأردنية، وجمعية الخطاطين اليمنية. وهو عضو في العديد من الجمعيات والنقابات والاتحادات المهتمة بفنون الخط العربية، وعضو بهيئة تحكيم المسابقة الدولية للخط العربي والزخرفة الإسلامية في اسطنبول، وأحد المشاركين في الإعداد لها، ومن مؤسسيها.

ومارس تدريس فنون الخط العربي في معاهد ودور المعلمين والدورات التعليمية في الموصل، وبغداد والعراق، ولا تزال دوراته مستمرة بإشرافه وتدريسه تلامذته بطرق تعليمية حديثة ومبتكرة، وبتأسيسه مركز يوسف ذنون للدراسات والأبحاث التاريخية والفنية بمدينة الموصل. وأصدر بعض الكراريس التعليمية، التي لا تزال تشكل المادة الأساسية لكراريس المدارس الابتدائية في العراق. كما مارس إلقاء المحاضرات في تاريخ فن الخط العربي وتطوره وقواعده لطلبة الآثار والهندسة والدراسات العليا في جامعة الموصل، والجامعة المستنصرية في بغداد، وجامعة بغداد، ومعاهد الفنون الجميلة، ومؤسسة المعاهد الفنية في العراق، وفي الجامعات وغيرها في المغرب وليبيا والأردن واليمن وتركيا. وشغل وظيفة خبير مخطوطات في مكتبة الأوقاف المركزية في الموصل، وأسهم في التدريس في دورات الجامعة العربية للمخطوطات، وانتدب كخبير للمخطوطات في اليمن ثلاث مواسم.

تقتني الكثير من الجهات حول العالم العربي والإسلامي الكثير من لوحاته بالعديد من الخطوط، ومنها بيت الموصل، الذي يجمع بين جدرانه عدد كبير من اللوحات الفنية المبهرة التي خطها، وله آثار فنية في الخط واللوحات على كثير من الكتب والمجلات، إضافة إلى تصميمه للعديد من الجوامع، وقيامه بكتابة جدران أكثر من ٢٠١ جامعًا في العراق وبعض الأقطار العربية، كما قام بزخرفة بعضها في العراق وخارجه، وذلك حتى عام ١٩٧٦م.

وتتميز أعماله بالتفرد والتميز، كما يعرف كيف يجعل من اللوحة الفنية للخط أن تدعو المتلقي إليها بقوة ليقف أمامها منبهرًا ويستنشق عبير الصدق والإبداع فيها، وتجعله يتأنى حد التوقف لا حدود لها. وأقام معارض للخط العربي، ودرب طلبته على الخط، وأسهم مع طلابه في الكثير من معارض الخط في بغداد منذ عام ١٩٧٢، وتلامذته في العراق والأقطار العربية كثيرون يصعب احصاؤهم، وقد أجاز منهم تسعة متمركزين في العراق وتونس والمغرب واليمن، ونتائجه العلمية والفنية والتعليمية مشهود لها بالجدة والابتكار، سواء في طرائق تعليم فن الخط وأبحاثه، وله نظريات جديدة في نشأة وتطور الخط العربي.

له دراسات وأبحاث منشورة في الخط والمخطوطات والآثار والتراث والفنون الإسلامية والتاريخ والتربية، وله مشاركات في المؤتمرات والمهرجانات والملتقيات عربيًا وعالميًا في تخصصاته، له بعض المؤلفات المطبوعة، منها دروس وقواعد خط الرقعة، وقواعد الخط الديواني، وكراسة تحسين الكتابة الاعتيادية، وخلاصات الكوفي والزخرفة والنسخ، والكتابة وفن الخط العربي، تعليم الخط العربي والكتابة، زينة المعنى، كما أسهم في تحرير الموسوعة الإسلامية التركية، وموسوعة الموصل الحضارية، وله مشاركات عدة في الندوات الدولية والمؤتمرات العربية والعالمية في الفنون الإسلامية والآثارية والتراث الإسلامي، وأشرف على توثيق العديد من المواقع الآثارية والتراثية، كما شارك كخبير في فنون العمارة العربية والإسلامية في الكثير من المسابقات التي أجريت في العراق وخارج العراق، كما درس وحاضر في فنون الخط العربي وأنواعه في عدد من الجامعات العراقية والعربية والأجنبية. وكرم من قبل دولة العراق في يوم العلم كأحد العلماء العاملين في مجال البحث والفن، وكرمه رئيس الجمهورية العراقية أحمد حسن البكر في عام ١٩٧٢، بمناسبة إقامة معرض الخط العربي الأول في بغداد، وكذلك من العديد من المؤسسات كجامعة الموصل، واللجنة الاستشارية للثقافة والفنون، وجمعية الخطاطين العراقيين، ونقابة الفنانين، وغيرهم.

وألف عنه أكثر من كتاب منها: يوسف ذنون مدرسة الإبداع في لخط العربي، دراسات في الخط العربي وأعلامه حول تاريخ وأعمال يوسف ذنون، ويوسف ذنون ومحاور تأسيسه الفني.

يوسف ذنون.. خبير الدنيا في الفنون الإسلامية

عبد السلام البسيوني

لا تعرفه قارئي الكريم، ربما لم تسمع به - بحكم اهتماماتك - لكنني أعتقد موقنًا أنه من النوادر الذين أنجبتهم الأمة، ممن يملكون كنوزًا معرفيّة هائلة القيمة، سواء في مقتنياته النادرة، أم في ذاكرته الحافظة، أم في خبرته الفذة!

هو واحد من آباء صحوة الخط العربي التقليدي والفن الإسلامي في السنين الستين الأخيرة!

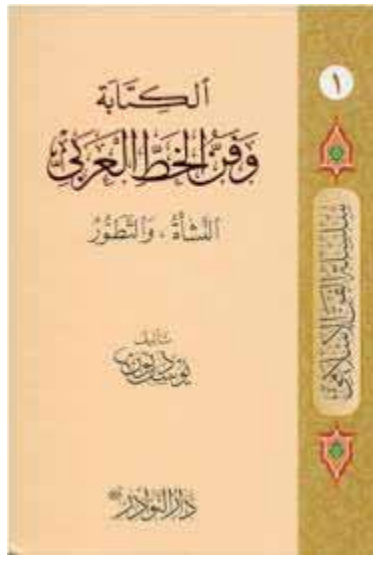

وفي سبعينيات القرن الماضي كان اليأس قد تسرب إلى نفوس الخطاطين، وعشاق الفنون الإسلامية، من استمرار فن الخط، واعتقد كثيرون أنه في طور الانقراض، بعد موت العمالقة حليم وحامد الآمدي في تركيا، وهاشم البغدادي في العراق، وبدوي الديراني في سورية، ومحمد حسني في مصر، وأبناء جيلهم، لكن جلَد يوسف ذنون، ومجموعة أخرى من الصادقين، دفعت بالفنون الإسلامية عامة - والحرف القرآني خاصة - للنهوض، من خلال المحاضرات والأمشق والمسابقات التي تجلت أهمها في مسابقات إرسيكا IRCICA؛ مركز الأبحاث للفنون والتاريخ والثقافة الإسلامية في استانبول، والتي أفرزت - بحق أجيالاً - غير مسبوقة من العمالقة الشباب، الذي بعثوا الفن الجميل الجليل عملاقًا وثابًا طموحًا بديعًا! وانبنت عليها مسابقات مرموقة أخرى في دبي والشارقة والكويت والدوحة وأبو ظبي ودمشق وبغداد وتهران والجزائر وغيرها، بل صار للفن الإسلامي والخط العربي حضوره في متاحف أوربا وجامعاتها وأسواق مزاداتها!

وكان يوسف ذنون وراء مسابقة إرسيكا، وشروطها، واختياراتها، والتحكيم فيها؛ خصوصًا في بداياتها قبل الانطلاق، ثم في دوراتها الأربع الأولى .

ذنون مخزن الخبرة والمعرفة

هو مخزن خبرة، ومكتبة فنية أدمية متحركة، ووعاء معرفة فريدة، يستطيع أن يحدثك عن خطاطي العربية في الدنيا في القديم والحديث بشكل مدهش، ويمكنه أن يؤرخ لأي حدث فني، وأية مدرسة إبداعية، وأية لوحة جميلة، وأية موتيفة زخرفية، بشكل جامع مانع، بحيث تقتنع أنه لا أخبر منه ولا أبصر في المعاصرين بتاريخ الفن وأحواله!

يمكنه أن يحدثك في الخط ومدارسه، والزخرفة وأساليبها، والتذهيب وإبداعاته، والفنون البابلية والآشورية، والكلدانية، والكنعانية، وفي المخطوطات، واللوحات، والسجاد والـ.... بمنتهى الحرفية والوعي والاقتدار.

وكان هذا من أسباب إطلاق لقب أمير الخط العربي عليه، من عدد من الباحثين الأكاديميين كالدكتور إبراهيم خليل العلاف، والدكتور ليث الطعان، وغيرهما!

بدأ الطريق من أوله ملاحظة، ودرسًا، وتمرسًا، وسافر في أرجاء العالم الإسلامي ناهلاً، ومتأملاً، ومبدعًا، مصاحبًا مشاهير كل دولة، مستفيدًا من تميز كل مدرسة.. وكانت أهم سفرياته إلى تركيا بمعالمها العثمانية الشماء النبيلة، والتصاقه بالجداريات العبقرية الهائلة في المساجد الكبرى؛ بخطوطها وزخارفها وعمارتها وسجادها، وزجاجها المعشق، وتلاوين الأرابيسك، وأعمال الصدف على الأبواب والمنابر والدكك، ودار في متاحفها مأخوذًا مذهولاً بروعة الميراث الذي خلفه عظماء الخطاطين العثمانيين، ودفعه عشقه إلى دراسة ما وقع تحت يديه منفردًا من كراريس ونماذج خطية، متأثرًا بمحمد عزت أفندي وحليم والآمدي، وكثيرين غيرهم رحمهم الله أجمعين!

عرف في مصر الخطاط الكبير محمد حسني (والد سعاد حسني ونجاة الصغيرة) ومحمد إبراهيم، ورضوان، وعبد القوي، ومحمود الشحات، ومكاوي، وصولا إلى أستاذي الذي تعلمت عليه يديه فن الخط مذ كنت في الثانية عشرة الأستاذ محفوظ الجمل، وهذا مما أدهشني، فالأستاذ محفوظ لم يكن من مشاهير الخطاطين، وكانت حركته بين زفتى وميت غمر وطنطا على الأبعد، فإذا بهذا الأستاذ الموصلي العجيب يعرفه ويزامله ويزوره!

شرفني الأستاذ يوسف بزيارة في العمل ذات مرة - وما أكثر ما تفضل علي بالزيارة - وحان وقت صلاة الظهر، وكان في مكتبي سجادة صلاة فريدة، غالية جدًا - ولا يدرك قيمتها إلا خبير - فبسطتها لنصلي عليها، إكرامًا له، فلما قضينا الصلاة، قال لي: هذه السجادة قيمة وغالية جدًا، هل أنت منتبه لقيمتها؟/ فسألته: بكم في رأيك؟/ على الأقل بمائة ألف ريال؟/ كيف عرفت؟/ عدد العقد في البوصة المربعة، ونوعية الخيوط، وسمك الفتلة، وطبيعة الزخرفة عليها، وأشياء أخرى! واندهشت، لأن كثيرين من غير الخبراء دخلوا مكتبي، وهي فيه مهملة، فلم يلتفت أحد لها!

من أين يأتي بهذه الخبرة، ودقة الملاحظة، واستيعاب الأرقام، والتواريخ، والفروق، والمزايا، والنوعية، والجودة، والقيمة؟ كيف يقدر عمر المخطوطة، وقيمتها، وخصائصها، وقيمتها التاريخية والفنية والمادية؟ كيف يقدر أن هذا العمل أصلي أو مقلد، وحيد أو معدّد، سبحان المعطي المنان.

ذنون الأديب الإنسان

وليس المهم في يوسف ذنون أنه يعرف، بل أهم من هذا تواضعه الشديد، وأدبه الجم، ورفقه الشديد، وبساطته العالية، فهو دائمًا مبتسم، وهو دائمًا مرحّب، وهو دائمًا طلق الوجه، متهلل الأسارير بابتسامة أبوية دافئة، يرحب بك زائرًا، ويفاجئك بالزيارة متواضعًا، وفي الأحوال كلها لا بد أن تخرج منه بفوائد، تزحم فكرك؛ لكثرتها وثرائها وندرتها.

يعشقه الخطاطون في العراق، خلال الخمسين سنة الفائتة، لأنه - تقريبًا - أبوهم الفني والروحي جميعًا؛ من فنه تخرجوا، ومن معينه نهلوا، ومن توجيهه تحركوا..

كتب عبد الإله الصائغ قصيدة عنه في ديوانه: سنابل بابل، يقول فيها:

ذات شروقٍ/ امتاز الكونُ فكُوِّرت الأشياء
وانثالت منْ أصرة الجوزاء/ قطرةُ ماء
نزلتْ في رحم امرأة/ حتى طلعتْ زهرةُ بيبون!
ذات صباحٍ/ امتاز الكونُ فَسُمِّيَت الألوان
وتَمَلْمَلَتِ القممُ الحبلى/ وتنفستِ القيعان فكان البحر
وكان المدُّ وكان الجَزْرْ!
ألقى الموجُ إلى الرملِ محارًا أبيض/ فاندلقَ الدُّرُ المكنون!
ذاتَ ضحىً، امتاز الكونُ / ارتجفت زوبعةُ الأسماءْ
صوتٌ مقرورُ النبراتْ/ نادى: يا أسماء/ يا أشياءْ:
ظمأُ الطوفانْ/ سيمر على تلِّ الرحمةْ/ حَجَرًا للنصلِ المسنونْ
يا عشاقَ الوطنِ اتحدوا/ من فيض الفيض ستندون.
ذاتَ غروبٍ نسمتْ أشذاء الفجرْ/
فرأيتُ الشمسَ بلون الشذرْ
تنبعُ من قارورة تِبْرْ
يا كلماتُ ارتجليْ شيئاً مثل الشعر:
الليلةَ يوسف ذو النون/ يسقيك نبيذَ العُمْرْ/ من سورةِ حِبْرْ!

من مؤلفاته

درس التربية الفنية ١٩٦٥ خلاصة قواعد خط الرقعة ١٩٧١ الخط الكوفي ١٩٧٢ مبادئ الزخرفة العربية (التوريق) ١٩٧٢ تحسين الكتابة الاعتيادية ١٩٧٨ قواعد خط الرقعة ١٩٧٨ قواعد الخط الديواني ١٩٧٨. الواسطي موصليًا ١٩٩٨. وله بحوث ومقالات نشرها في الصحف والمجلات وألقاها في المؤتمرات والندوات التي شارك فيها والمحاضرات العامة التي ألقاها عن الخط العربي في الجامعات والمعاهد والأكاديميات.

ومن تلامذته العراقيين: علي حامد الراوي، وإياد الحسيني، وطالب العزاوي، وباسم ذنون، ومروان حربي، وعمار عبد الغني، وجنة وفرح وفريال العمري.

وكتبت عنه عشرات المقالات والدراسات والكتب، ومنها ما كتبه الأستاذ فوزي سالم عفيفي في مصر حول تاريخ وأعمال يوسف ذنون، وسعيد الديوه جي: يوسف ذنون مدرسة الإبداع في الخط العربي. وصدر عنه عدد خاص من مجلة حروف عربية (يوسف ذنون: فنان الخط وفقيهه) بتقديم الباحث العراقي الدكتور ادهام حنش..

عن موقع الخط العربي

الخطاط العراقي يوسف ذنون الموصلي.. إبداع بلا حدود

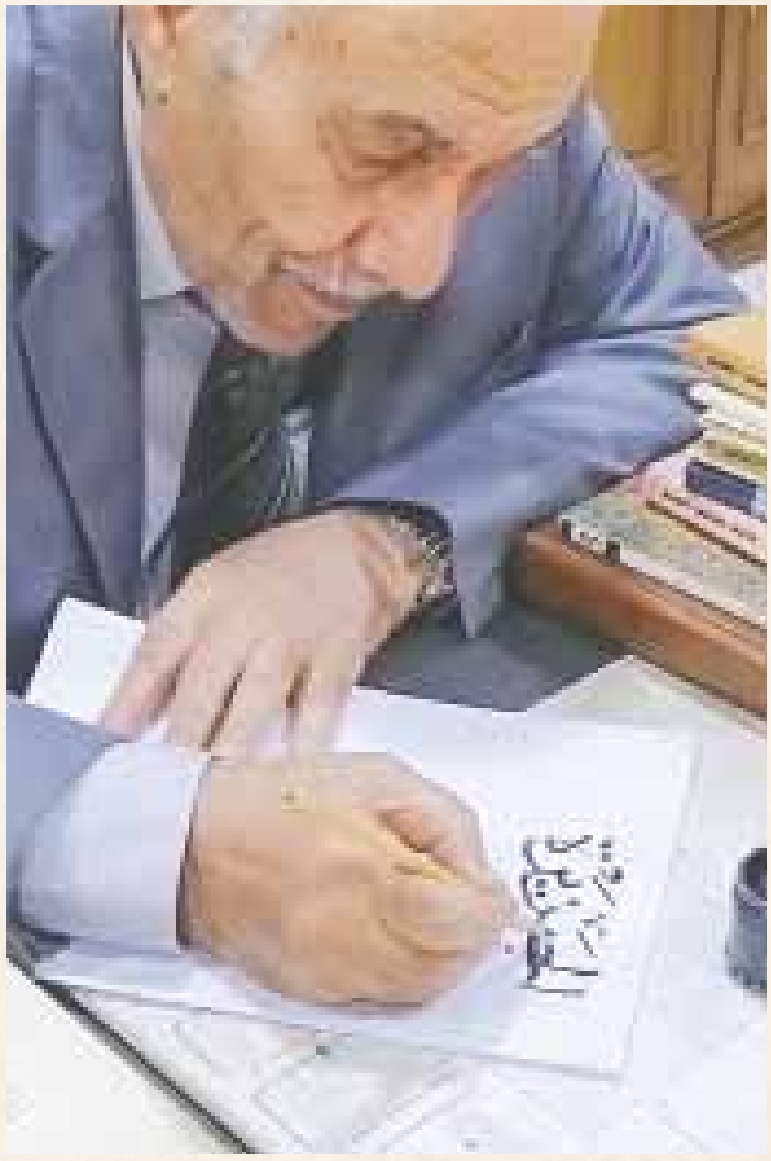

د. عبد الاله الصائغ

الموصل الحدباء او الفيحاء او ذات الربيعين ! طبيعة خلابة وأم ولود انجبت للعالم العربي والشرقاوسطي اساطين الفن والمعرفة فهي موئل ابو تمام وبلد أبي عثمان بن جني ومشغل ابناء الأثير وحاضنة اسحق الموصلي وذلك دابها وحسبها ! فليس غريبا ان تنجب في زماننا هذا واحدا من اكبر عباقرة الخط العربي ومفكري التراث العربسلامي ! انه يوسف ذنون الموصلي الذي نزل الى أرض الموصل عام ١٩٣١ من اسرة دينية عريقة ! وقد بانت مخايل سموه الابداعي في سن مبكرة فهو يخط او يرسم على الارض والورق والقماش فيتماهى مع لحظات الخلق غائبا عن الزمكان الحسي ذائبا في اثير الوجد ! ذلك دابه منذ نعومة اظفاره ! يلعب مع الاطفال حين يفيض عليه الوقت ويعتزلهم حين يبهظه حلم الكينونة ! ولقد تخرج

في دار المعلمين عام ١٩٥١ ليدرِّس الفنون الاسلامية ويطور في الوقت ذاته قدراته التربوية وفضاءاته المعرفية ! ولم تكن المدارس لتسد حاجة نفسه للسطوع والمجد فبدأ المشوار بحوارات معمقة مع العلماء وذوي الاختصاص حتى طبقت شهرته الآفاق كما يقال بحيث استحق الاجازة العليا من شيخ خطاطي العالم الاسلامي احمد الآمدي عام ١٩٦٦ ! .

ويوسف ذنون الهاديء كما سطح البحر المكتنز كما اعماق البحر مجد نشيط، فقد شارك في مؤتمرات تتصل باهتمامه عراقيا وعربيا وعالميا وهو لم يتجنب الحواضن التي تحتاج الى خبراته فكان ان درَّس الخط العربي في المعاهد والجامعات العراقية والعربية والأجنبية! لكن الجانب الجدير باهتمام دارسي يوسف ذنون هو ابتكاراته في اساليب صناعة الخط العربي بما يميز اساليبه عن القدامى والمحدثين وليس في قولنا هذا نأمة مبالغة فالكتب التي وضعتها المؤسسات العلمية في السعودية والعراق وتركيا عن تفرد يوسف ذنون في فن الخط تقول الذي قلناه بل قالته وصار تاريخا موثقا ! ! ولقد كتبت الصحافة الفنية الفرنسية مقالات عن لوحات ذنون الخطية حين زار باريس مدعوا في مهرجان السحر الكوني سنة ١٩٨٩ ! نعم الغربيون لايعرفون الخط العربي باستثناء المستشرقين لكن حساسيتهم عالية في التعامل مع الخط كعمل تشكيلي ! وذلك ما الفناه مثلا في تنافس المؤسسات الفنية الغربية على شراء لوحات يوسف واقتنائها.

والحديث عن ابداعات يوسف ذنون قد ينسينا جوانبه الانسانية والمعرفية الأخرى ، يوسف ذو النون خطاط نعم ! فنان نعم ! عاشق مدمن نعم ! وماذا بعد ؟ يوسف ذنون ظاهرة كبرى في عددمن الفنون العصية لجميلة !وماذا بعد؟ يوسف ذنون فنان باتساع هذه الكلمة وعمقها وطهرها وإعجازها ! وماذا وماذا ؟؟ يوسف ذنون عاشق أدمن عشق الله وعشق عباد الله وعشق آلاء الله فكان آيةً في السمو الصوفي والزهد القدسي !يوسف ذنون ليس مدرسة بل هو أكاديمية يتخرج فيها الطلبة مبهظين بشهادة الأخلاق العليا والمعرفة المثلى .

كيف التقيت هذا الطود ؟ وسعدت بصداقته التي لاتشبه اي صداقة ؟؟سنة ١٩٨٤ حللت الموصل العظيمة ولي فيها اصدقاء مهمون جدا كما تشكلت لي صداقات مع اعلام كبار من امثال معد الجبوري وسعيد الديوجي وبهنام ابو الصوف وهاشم الملاح وامجد محمد سعيد وعمرمحمد الطالب وراكان دبدوب وفرج عبو وحسن العمري و شفاء العمري ومزاحم علاوي وبتول البستاني و ذنون يونس الاطرقجي و بشرى البستاني ومحمد نايف الدليمي .. وسوف انسى اسماء كثيرة مهمة بحكم عمري وغربتي وطول المسافات الزمكانية فمعذرة ! باشرت عملي مدرسا في قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الموصل العريقة ، كنت اعشق عملي وما زلت ،الطلاب والطالبات اولادي وبناتي لا اميز بين الطالب النجفي او الموصلي الكوردي او العربي العراقي او الليبي او المغربي او اليمني او الامريكي وهذا وجيز عشقي لعملي وطلبتي في رحلتي الاكاديمية الطويلة ، كان طلبة الموصل يستشعرون معي الصداقة والحميمية بحيث شكاني رئيس القسم الدكتور عبد الوهاب العدواني الى العميد الدكتور صلاح الدين امين وقال ان الصائغ يبالغ في علاقاته مع الطلاب ! كانت غرفتي في القسم تشهد شكاوى الطلاب ودموعهم حين يشعرون بالظلم ، لفتت نظري طالبة جميلة كميلة مهذبة – نسيت اسمها –كانت تكتب محاضراتي بخط مدهش مدهش ! بشيء من الفضول قلت لها هل تجيدين فن الخط ؟ قالت وقد استغرقها الحياء : نعم انا مهتمة بالخط ومعي اختي الكبرى فهي خطاطة متمرسة ونحن اختي وأنا نحمل اجازة من الاستاذ الكبير يوسف ذنون ، قلت لها وقد رَنَّ اسم يوسف ذنون في روحي : اذن يمكنك ان تعقدي معرفة بين استاذك في الخط يوسف ذنون واستاذك في تحليل النص عبد الاله الصائغ ، قالت بثقة الفتاة الموصلية اعطني وقتا استاذي كي اتدبر ماذا افعل ! فشكرتها وتركتها لما سوف تتدبره .

وحقا بعد أيام قالت لي : يمكنك يا استاذ حضور مجلس أبيه حسن العمري ففي هذا المجلس نخبة الاساتذة الكبار في الشعر والرسم والثقافة بعامة ! هناك سوف تلتقي الاستاذ يوسف ذنون واعلمتني انها وشقيقتها ممن يواظبون على حضور مجلس السيد العمري ، وهكذا التقيت هذا البحر العبق في مجلس العمري رحمه الله بل منتدى السيد حسن العمري الشاعر والباحث والمترجم .

أعود الى يوسف ذنون حين التقيته للوهلة الاولى انطبعت صورته في ذاكرتي : كان نحيلا وسيما غضيض الطرف خفيض الصوت فيه حياء الأولياء بحيث لاينظر اليك في عينيك بل يرسل طرفه الى يديك غالبا !

وحين تثني عليه يحمر وجهه ارتباكا ويتصفد عرق جبينه حياءً وتواضعا ، فأي نسخ من الرجال الاسطوريين هذا العيلم ؟ بسرعة البرق بتنا اصدقاء يزورني في الكلية وفي بيتي ويريني افانين من معجزاته في الخط ، وحين كلفته بعمل خطوط لكتابي الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام وكتابي الصورة الفنية معيارا نقديا وهما اطروحتا الماجستير والدكتوراه وافق بحميمية وجاءني بعد قرابة الشهر ومعه نماذج من خطوط العنوان والخطوط الداخلية وكانت خطوطه لكتابي شيئا مفرحا بحيث اثنيت عليه ثناءً كبيرا ، لكن مطبعة كويت تايمس في دولة الكويت لم تضع خطوط الاستاذ يوسف ذنون حين طبعت كتابي الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام فحزنت كثيرا ، ثم علمت ان دار الشؤون الثقافية وافقت على طبع كتابي الصورة الفنية معيارا نقديا فسافرت من الموصل الى بغداد وفذهبت الى الاستاذ مدير النشر واسمه عمران الموسوي واكدت عليه ضرورة وضع خطوط الاستاذ يوسف ذنون ولوحات الاستاذ نزار الهنداوي فقال لي عمران الموسوي اطمئن سوف يخرج كتابك بخطوط يوسف ذنون ولوحات نزار الهنداوي ولكن كتابي صدر وليس فيه شيء من خطوط ذنون ولا لوحات الهنداوي ! فكان حزني شديدا وحصل لي موقف مشهود مع عمران الموسوي امام مدير مؤسسته وقريبه الصديق الدكتور محسن الموسوي الذي عاتبه وغاضبه ، وكانت الشكاوى قد كثرت ضد عمران الموسوي ، لكنني احتفظت بخطوط يوسف ذنون ولوحات نزار الهنداوي في ارشيفي – وحكاية ارشيفي حكاية طويلة – .

واعود ثانية الى الاستاذ يوسف ذنون وجوانبه المعرفية ومواهبه الربانية فاقول انني فوجئت – وايمن الله– ان يوسف ذنون مثقف كبير بسعة عمالقتنا طه باقر ومصطفى جواد وفؤاد عباس وحسين امين وعبد الرزاق محي الدين ، عالم بكل المعنى دون نقصان يحدثك عن تشريح الفن فتصعق ويشرح لك دلالات التماثيل في الحضر وآشور فتقول في نفسك وكيف حصل على هذا الكم والنوع المعرفيين دون ان ينوء به او يداخله خيلاء الزهو ؟ وهو يحفظ نصوصا كثيرة وطويلة من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة واخبار الخلفاء الراشدين والصحابة والشعراء والمؤرخين بما يتصل بفن الخط ، فإذا حدثك عن تاريخ الخط العربي اذهلك استيعابه للرقم الطينية المكتشفة في العراق واليمن والاردن وبلاد الشام ! وتتبعه التاريخي المنهجي مع نقدات بنيوية لتراثنا الخطي فلا تمل الاصغاء اليه فهو لا يسمعك ما في الكتب بل يجعلك في مكتشفاته وابتكاراته ونقداته وهذه سمة معروفة عنه ،وبعد : فهل تكفي مقالة كهذه لتوفي الكبير حقا الاستاذ يوسف ذنون الموصلي بعضا من بعض حقه ؟ شهادة لله ان الفنان العظيم يوسف ذنون كنز عراقي لايقدر بثمن وقلما يجود الزمان بأمثاله.

يوسف ذنون "أمير الخطاطين العرب"

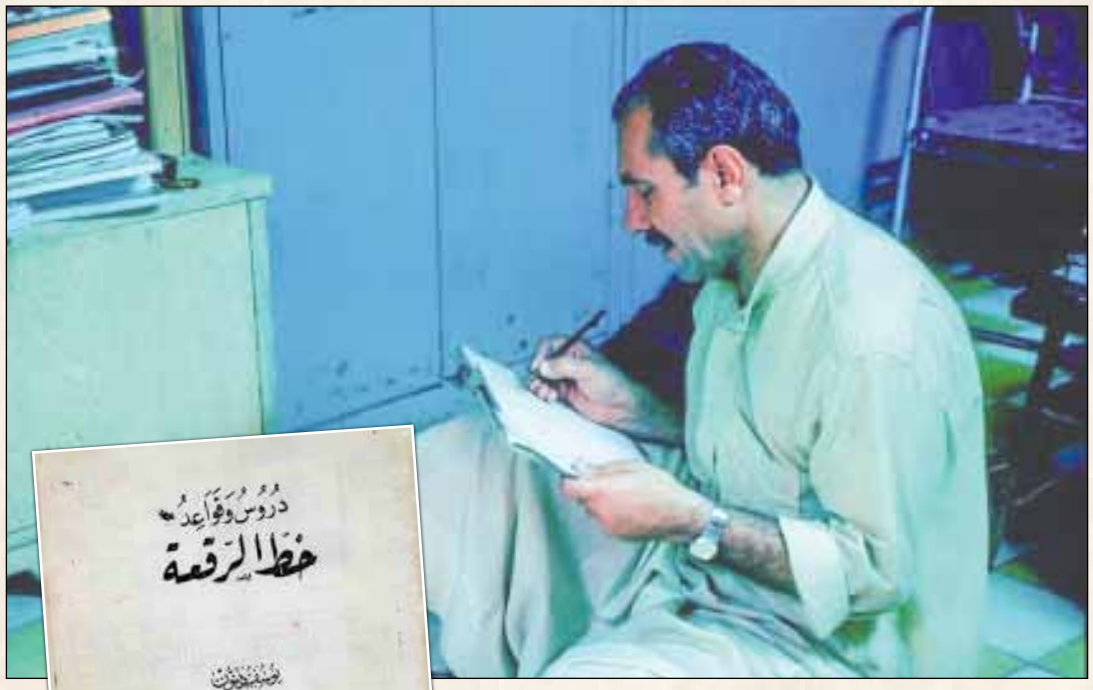

عواد علي

لم يحظ بلقب "أمير" من الأدباء والفنانين العرب سوى ثلاثة هم الشاعر أحمد شوقي، الذي لُقب بـ"أمير الشعراء"، والموسيقار فريد الأطرش الذي لُقب بـ"أمير الطرب"، والخطاط العراقي يوسف ذنون الذي لُقب بـ"أمير الخطاطين العرب"، واللقب الأخير له مسوغات عديدة. اكتسب يوسف ذنون، الذي رحل عن عالمنا هذه الأيام، إضافة إلى لقب "أمير الخطاطين العرب" لقبا ثانيا هو "شيخ الخطاطين العرب"، وكان، إلى جانب إبداعه في الخط، باحثا قديرا، وخبيرا عالميا في العمارة والفنون، ومن الشخصيات النادرة التي تمتلك كنوزا معرفية هائلة القيمة، وبرحيله فقدت الثقافة العربية واحدا من أبرز أعلامها.

تجربة نصف القرن

أنجز يوسف ذنون عبدالله، المولود في مدينة الموصل عام ١٩٣٢، لوحات فنية مبهرة، وملأ المساجد خطوطا، وزينها بزخارف جميلة، وأشرف على عشرات المتاحف والمشروعات، وألّف الكثير من الكتب في قواعد الخط العربي، ومبادئ الزخرفة، والتربية الفنية.

اللغة والخط صنوان

كتب ذنون بحوثا وألقاها في المؤتمرات والندوات التي نظمتها جامعات وأكاديميات ومعاهد عربية وأجنبية، ونشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات، وأقام معارض للخط العربي والزخرفة منذ عام ١٩٦١، وأسهم في مهرجانات ومعارض عربية ودولية، منها مهرجان بغداد العالمي الأول عام ١٩٨٨، والمغاربي الأول عام ١٩٩٠، ومعرض سحرة الأرض في باريس عام ١٩٨٩، وشارك في تأسيس بعض معاهد الخط والزخرفة، مثل معهد الفنون الإسلامية في جامعة البلقاء بالأردن، وتكوين جمعية الخطاطين الأردنية، وجمعية الخطاطين اليمنية.

درب الراحل طلبته من العراقيين والعرب والأتراك على الخط، وتلامذته كثيرون يصعب إحصاؤهم، منهم عبدالله الحساني من السعودية، عبدالرقيب العودري وعبدالرحمن الجنيدي من اليمن، الجيلاني الغربي وفرج إبراهيم من تونس، منتصر الحمدان من الأردن، حميدي بلعيد وفوزية عدنان من المغرب، حسين عيسى ومناد بن حليمة وصالح المقبض من الجزائر، علي البداح من الكويت، وتحسين طه من تركيا. ونتائجه العلمية والفنية والتعليمية مشهود لها بالجدة والابتكار، في طرائق تعليم فن الخط وأبحاثه، وله نظريات جديدة في نشأة وتطور الخط العربي.

ومن مؤلفات يوسف ذنون: "درس التربية الفنية"، "خلاصة قواعد خط الرقعة"، "الخط الكوفي"، "مبادئ الزخرفة العربية (التوريق)"، "تحسين الكتابة الاعتيادية"، "قواعد الخط الديواني"، و"الواسطي موصليّا".

كما أسهم في تحرير الموسوعة الإسلامية التركية، وموسوعة الموصل الحضارية. وكتبت عنه عشرات المقالات والدراسات والكتب، منها "تاريخ يوسف ذنون وأعماله" للكاتب فوزي سالم عفيفي في مصر، و"يوسف ذنون مدرسة الإبداع في الخط العربي" للكاتب والمؤرخ سعيد الديوه جي.

وصدر عنه عدد خاص من مجلة "حروف عربية" تحت عنوان "يوسف ذنون: فنان الخط وفقيهه" بتقديم الباحث العراقي المتخصص في الخط العربي الدكتور إدهام محمد حنش، عميد كلية الفنون والعمارة الإسلامية بجامعة العلوم الإسلامية العالمية في عمّان.

كان الفنان يعتبر أن اللغة هي الكلام المسموع، والخط هو الكلام المنظور، فاللغة والخط صنوان، ومما يؤسف له كثيرًا، في رأيه، أن الجهات الأكاديمية أو المؤسسات الأكاديمية لا تلتفت له!

ومن آراء ذنون أيضا اعتباره أن الكتابة بدأت ونشأت كفن قبل الإسلام، وجاء الإسلام ليؤكد هذا الفن. أما تحويل الفنان الزخرفة النباتية إلى زخرفة مجردة، فقد خلق، كما يقول، عالما نباتيًا جديدًا، وارتبط الخط بالزخرفة، فصارت عنصرًا أساسيًا فيه؛ فالخط والزخرفة وجهان لعملة واحدة.

ويشدد الفنان الراحل على أن هناك خطاطا، وهناك خطاط فنان، فالخطاط: هو الذي يجيد الخط بقواعده المعروفة، والفنان: هو الذي يجيد الخط، ولكنه يخرجه بشكل مبدع.

وفي اعتقاده أسهمت الآلة في إبراز خطاطين كبار، ومع ذلك تبقى الآلة آلة، والخطاط له روح تنعكس على خطه.

شهادات عن الفنان

في حديثه عن يوسف ذنون قال الباحث والناقد العراقي الدكتور عبدالإله الصائغ "يوسف ذنون ظاهرة كبرى في عدد من الفنون العصية الجميلة. فنان باتساع هذه الكلمة وعمقها وطهرها وإعجازها!، مثقف كبير بسعة عمالقتنا طه باقر، ومصطفى جواد، وفؤاد عباس، وحسين أمين، وعبدالرزاق محيي الدين".

مضيفا "إنه عالم بكل المعنى دون نقصان، يحدثك عن تشريح الفن فتصعق. ويشرح لك دلالات التماثيل في الحضر وآشور، فتقول في نفسك: وكيف حصل على هذا الكم والنوع المعرفيين دون أن ينوء به أو يداخله خيلاء الزهو؟ فإذا حدثك عن تاريخ الخط العربي أذهلك استيعابه للرقُم الطينية المكتشفة في العراق واليمن والأردن وبلاد الشام، وتتبعه التاريخي المنهجي، مع نقدات بنيوية لتراثنا الخطي، فلا تمل الإصغاء إليه؛ فهو لا يسمعك ما في الكتب، بل يجعلك في مكتشفاته وابتكاراته ونقداته! وهذه سمة معروفة عنه! كنز عراقي لا يقدر بثمن، وقلما يجود الزمان بأمثاله".

وكتب الخطاط والباحث المصري الدكتور عبدالسلام البسيوني مقالا بعنوان "يوسف ذنون الموصلي خبير الدنيا في الفنون الإسلامية" قال فيه "أعتقد موقنًا أنه من النوادر الذين أنجبتهم الأمة، ممن يملكون كنوزًا معرفيّة هائلة القيمة، سواء في مقتنياته النادرة، أم في ذاكرته الحافظة، أم في خبرته الفذة".

متابعا "إنه واحد من آباء صحوة الخط العربي التقليدي والفن الإسلامي في السنين الثلاثين الأخيرة، ففي سبعينات القرن الماضي كان اليأس قد تسرب إلى نفوس الخطاطين، وعشاق الفنون الإسلامية، من استمرار فن الخط، واعتقد كثيرون أنه في طور الانقراض، بعد موت العمالقة حليم وحامد الآمدي في تركيا، وهاشم البغدادي في العراق، وبدوي الديراني في سوريا، ومحمد حسني في مصر، وأبناء جيلهم، لكن جلَد يوسف ذنون، ومجموعة أخرى من الصادقين، دفع بالفنون الإسلامية عامة -والحرف القرآني خاصة- للنهوض... بل صار للفن الإسلامي والخط العربي حضوره في متاحف أوروبا وجامعاتها وأسواق مزاداتها".

ووصفه الكاتب والباحث المصري الدكتور علي عفيفي علي غازي، في مقال له بعنوان "يوسف ذنون.. شيخ خطاطي الموصل"، بأنه "أمير الخط وفنونه، وكبير تاريخه وشؤونه، ولا يكاد يذكر إلا ويذكر الخط العربي وجماله وأصالته، وكماله ونضارته، وروعته، وللزخرفة حوله حلاوتها وطلاوتها، دوح كثير الثمار، وروض بهي معطار، علم ندر أن يجود بمثله الزمان، وعالم قل أن ينبت نظيره المكان... يمثل أحد رواد الصحوة التي يشهدها الخط العربي في السنوات الأخيرة".

الخطاط والباحث يوسف ذنون مسيرة حافلة بالإبداع والعطاء

د . عامر الجميلي

ترددت كثيرا وأنا أحاول الكتابة عن مبدع عراقي موصلي كبير ذاع صيته في البلاد العربية والإسلامية، بل والعالم، كعلم من أعلام الفن الإسلامي والبحث التاريخي، ولكن سبق السيف العذل، فلقد ألزمت نفسي بالكتابة عن المبدعين حال حياتهم، فمن غير الإنصاف تكريم المبدع وإلقاء الخطب الرنانة عن شخصه وإبداعه بعد أن يكون قد فارقنا إلى عالم البرزخ. إذن فلا حل سوى الكتابة، ولكن ما أفعل للقلم الذي يرتجف وهو يخط على الورق كلمات في سيرة الباحث الكبير والخطاط الرائد والأستاذ المربي يوسف ذنون عبد الله الموصلي. كيف لي ولقلمي السيطرة على الموقف حال جلوسي إليه، وأنا ما فتحت أمامه باباً للحوار إلا وتنقل بي بين دهاليز ودهاليز من الذاكرة إلى التاريخ والتأصيل التاريخي لمدينة الموصل؛ حتى التعديل لبعض الآراء في تراث وتاريخ المدينة، إلى العلم والفن الإسلامي الذي عشقه وأفنى في سبيله الوقت والجهد على مر عشرات السنين. كيف لا والموصل بكل ما فيها ومَن فيها يشهدان بفضله؛ فالجوامع التي زينها بخطه العالي الدقة والرفيع المستوى، والطلبة الذين تتلمذوا على يديه ليكونوا قادة لحركة الفن الإسلامي في العراق بعد اندثار هذا الفن أو كاد يندثر. الأستاذ يوسف ذنون : التقيته في داره بالموصل منتصف رمضان الماضي، حيث كان في زيارة لمدينته الحبيبة إليه والتي أعطاها من وقته وجهده كل ما استطاع إليه سبيلاً. فكان لي معه هذا الحوار؛ في السيرة الذاتية، والذاكرة، والفن.

جزء من الحوار

من هو يوسف ذنون؟ أنا من مواليد مدينة الموصل سنة ١٩٣١ ولدت في منطقة باب الجديد، درست القرآن الكريم في(الملا) أي الكُتاب، ومن بعد ذلك دخلت المدرسة الابتدائية في مدرسة ابن الأثير للأحداث واستمر ذلك لغاية الصف الثالث الابتدائي، وبعدها نقلت إلى مدرسة باب البيض للبنين، ثم انتقلت للمتوسطة الغربية وبعدها الإعدادية المركزية، وتخرجت منها سنة ١٩٥٠، لأدخل بعدها دار المعلمين في (ذات السنة الواحدة من بعد الإعدادية)، وتخرجت منها سنة ١٩٥١ وعينت معلما في قرية (المحلبية) التابعة لقضاء الموصل. الحوار— اشتهر يوسف ذنون في مجال الخط العربي، منذ متى ظهر هذا الاهتمام؟. الاهتمام بالخط العربي بدأ عندي منذ الطفولة، فقد كنت استطيع رسم الخطوط المختلفة حينما كنت في الصف الرابع الابتدائي وذلك من خلال تأثير الخطوط الموجودة في الكتب المدرسية، فكانت أغلب الخطوط مكتوبة بقلم الخطاط العراقي المعروف (صبري الهلال) وبعدها بخط الخطاط المشهور (هاشم البغدادي). وقد كنت معروفاً آنذاك بين أقراني في الرسم بشكل عام، وكانت الموصل آنذاك فقيرة بالخطاطين، والمعروف من الخطاطين على الصعيد الإعلامي آنذاك هو (نوري سعيد) ولم يكن يتقن سوى خط الرقعة إلى حد ما، ومعه خطاط آخر وهو الخطاط (فوزي) الذي كان متمكنا من التلاعب بالألوان ورسم الأزهار. وكانت هناك في المدارس حركة تهتم بالخط العربي ولكنها كانت محدودة وعلى نطاق الهواية لدى الطلاب حيث كان البعض منهم يجيد رسم الخطوط البسيطة، وكنت أحدهم، ولكن بطريقتي الخاصة وهي رسم الحروف بقلمين ثم تلوينها. الحوار— ولكن بهذه البداية المتواضعة، كيف تمكن يوسف ذنون من تطوير مواهبه ليكون نارا على علم في فن الخط العربي؟. -كانت تلك هي الفترة الأولى في التعلم والتي اعتمدت فيها على وسيلة التثقيف الذاتي في كل الأنماط، فنمت لدي النواحي الأدبية والتاريخية والفنية، فاستطعت أن ألم بحصيلة جميلة من هذه النواحي. ومن بعدها كان التفرغ في القرية على مدى سبع سنوات حيث كنت معلماً، فكانت القراءة التي جعلت مني متفرغا ومهتما بالفنون والآثار والتاريخ فسلكت سبل البحث للوصول إلى تطوير إمكانياتي من خلال سفراتي داخل القطر في شتى مدن العراق؛ وكذلك إلى البلاد العربية المجاورة؛ وكانت خاتمتها سنة ١٩٥٧ إلى تركيا فهناك تعرفت على الخطوط بأرقى مستوياتها، وتعرفت على وسائل تعلمها بالكراريس، فجلبت معي بعض هذه الكراريس لمشاهير الخطاطين العثمانيين الكبار من أمثال محمد عزت وأخيه الحافظ تحسين، فكانت مدرستي الأولى في تعلم الخط، وكذلك بعد أن زرت المتاحف وبعض الخطاطين هناك فتعرفت على أدوات الكتابة ومواد الخط، فتهيأت لي أسباب مرحلة جديدة من رسم الحروف إلى خطها بواسطة أدوات ومواد الخط، وحينما رجعت إلى البلد كان قد ظهر فيها خطاط آخر هو (زهير) وكان يرسم الحروف بألوان جذابة وقد اشتهر بالمدينة آنذاك. حينها سلكت مساري بشكل خاص في التعلم من هذه الكراريس فوجدت نفسي قد حققتُ مستوىً لم أجده عند خطاطي المدينة، فواصلت المسيرة وحققت نتائج جيدة في الخط، ولم أحاول السير في الاتجاه التجاري في الخط ولكنني قمت وعلى فترات بكتابة بعض اللافتات المتعلقة بالنواحي الوطنية وكذلك بعض اللافتات لبعض المقربين، فكانت إحدى الوسائل التي عرفت المجتمع الموصلي علي. وفي وقت لاحق افتتح معهد المعلمين في الموصل وتحديدا سنة ١٩٦٢ ، ودخلت مادة الخط العربي كمادة أساسية فيه فناً وتدريساً مع المواد الفنية الأخرى تدريساً وطرائقاً، وكذلك الوسائل السمعية والبصرية آنذاك بالإضافة إلى الأعمال اليدوية التي تم تعييني فيها في ذلك الوقت في مديرية المعارف (التربية)، وطبعا بما أنني امتلك قابليات ومهارات متعددة من خلال بعض التي دخلتها في بغداد، فقد وقع الاختيار علي لتدريس هذه المادة في المعهد. وفي المعهد استفدت من الدراسات التي قمت بها فيما سبق عن فن الخط ، فوضعت له طرقا جديدة ومبسطة لتعليمه، فكانت النتائج مبهرة، بحيث أصبح جميع الطلاب مهتمين بالخط فضلاً عن ظهور خطاطين جيدين منهم. وكذلك قمت في المعهد بإجراء نشاطات لا صفية بعد الدوام اليومي، وكذلك افتتحت لجانا للخط العربي والفن التشكيلي والأعمال اليدوية، ما حقق لدي مجموعة من الطلاب الذين صاروا طليعة الخطاطين في الموصل من ذلك الوقت، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: (باسم ذنون، وعباس الطائي، وعلي حسن، وعلي أحمد، وعبد الغالي عبد الرزاق، وطالب العزاوي، وحسن قاسم حبش، وعلي الراوي)، وهذه النخبة من طلاب دار المعلمين في دورته الأخيرة، وهؤلاء جميعا شكلوا الطبقة الأولى من خطاطي الموصل المتميزين. يضاف إليهم تدريسي للآخرين سواء كانوا طلاباً في المدارس أو من غيرهم، من أمثال الخطاطتان الشقيقتان (فرح وجنة عدنان)، وكذلك الخطاط (أياد الحسيني، وعمار الفخري، عمار النعيم، وعامر عبد الله ألجميلي، وطبقة كبيرة من الخطاطين والخطاطات والمزخرفين والمزخرفات الذين يضيق المجال بذكرهم، لأن ما ذكرته منهم هو عدد قليل. الحوار- هل اكتفيت بالتدريس في المؤسسات التربوية والتدريسية فقط، أم للتاريخ أن يذكرك في تدريس الخط العربي في مجالات وأماكن أخرى؟. -حقيقة: أقول بأن التدريس بالنسبة لمادة الخط العربي لا يعتمد على الأماكن التربوية الرسمية فقط، لا؛ بل هناك أماكن أخرى وكثيرة هي هذه الأماكن التي يمكن للخطاط التدريس فيها، فقد تطور هذا النشاط ليدخل المؤسسات الفنية والنقابات والتجمعات الشبابية والطلابية، بل حتى أنه تعدى كل ذلك ليمتد إلى المقاهي العامة، وفي ذلك الوقت وكنتيجة للنشاط المتسارع فقد تم تأسيس جمعية باسم (جمعية التراث العربي) لتقدم نشاطها الأصلي المرتكز على الخط العربي والخطاطين من خلال التدريس وإلقاء المحاضرات المتعلقة بالتراث الشعبي والفنون المختلفة في هذه المدينة. كذلك كان الاهتمام بالعطلة الصيفية من خلال استغلالها في إقامة دورات تعليم الخط العربي لمختلف شرائح المجتمع الموصلي بالمجان؛ وكان ذلك في مدرسة الزهراء وسط الموصل بالقرب من مبنى المحافظة، وكانت هذه الدورات تركز على الطلاب أيضا بجميع المراحل الدراسية ما جعل من مدينة الموصل تصبح معروفة على نطاق العراق بهذه الحركة الفنية المكوكية التي تركز على مادة الخط العربي.

مستل من حوار مطول مع الراحل يوسف ذنون نشرته الصفحات المعنية بالخط العربي.

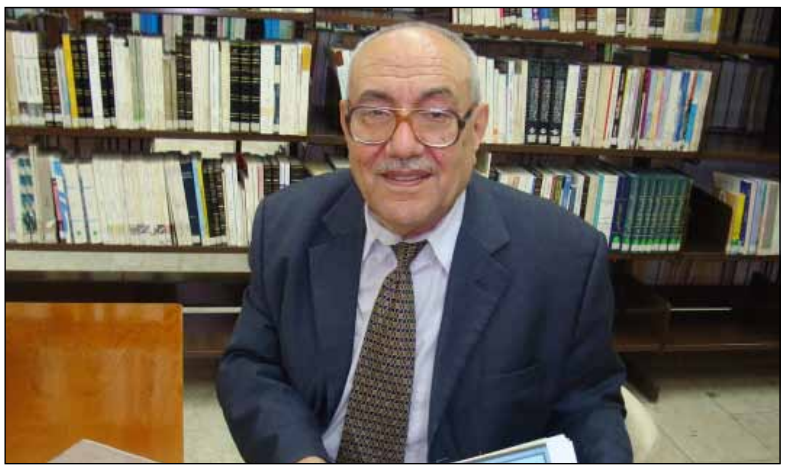

مع هاشم الخطاط استاذه

مع الاستاذ يوسف ذنون.. صداقة نصف قرن

د. ابراهيم خليل العلاف

منذ اكثر من نصف قرن ، والاستاذ يوسف ذنون (رحمة الله) عليه .. صديقي ، وأخي وكثيرا ما كان يزورني عندما كنت رئيسا لقسم التاريخ بكلية التربية أو مديرا لمركز الدراسات التركية – الاقليمية – جامعة الموصل .ومن قبل ذلك كنت ازوره في داره القديمة وفي داره الجديدة وفي مركزه ، وظلت علاقتي به وثيقة حتى وفاته .

كتبت عنه في حياته ، وهو يعرف ذلك وكنا نتهاتف باستمرار ، ولي عنه اكثر من مقال وكتبت عن مؤلفاته ، وكتبت عن الكتب التي صدرت عنه وكنت دائما اقول انني لست من الذين يذهبون إلى أن الرواد والعلماء والمبدعين يذكرون بعد رحيلهم ، وإنما مع الذين يكرمون هؤلاء في حياتهم. وكثيرا ما أشدد على ذلك ، وأقول لأصحابي إن مما يؤسف له أن الناس – وخاصة في بلدي العراق – تعرض عن النوابغ حال كونهم معاصرين لهم ، فإذا ماتوا تعرف حينئذ أقدارهم وتطلب آثارهم .المبدع عندما يرى الناس في حياته وهي تذكره وتشيد بانجازاته يزداد رغبة في تقديم الجديد والمفيد ،ويشعر بان ثمة من يتابعه ويريد منه أن يقدم شيئا .

يوسف ذنون من مواليد الموصل سنة ١٩٣١..مرب ، وخطاط ،وباحث، وكاتب لايشق له غبار.. ساح وجال في معظم الدول العربية . أنجز مشاريع مهمة على صعيد إصدار طبعات أنيقة للقران الكريم، وكتاباته عل جدران مساجد العراق والوطن العربي أكثر من أن تحصى ،وكلما دخلنا مسجدا أو جامعا طالعتنا في أواخر الخطوط تواقيعه "يوسف" برقة وجمال .

والان وبعد وفاته ، كان لابد ان اتابع ما كتب عنه ، وصدر وقد حرصت على ان افيد مما كتب عنه، أو ممن حاوره وممن حاوره الاخ الاستاذ ناصر الخالدي وقد نشر الحوار في جريدة (الانباء) الكويتية عدد الأربعاء ٨ مايو– أيار سنة ٢٠١٣ .

والشيء الجميل في هذا الحوار انه أي الاستاذ يوسف ذنون تحدث عن نفسه . ومما قاله بالحرف الواحد : "ولدت في مدينة الموصل سنة ١٩٣١ في منطقة باب الجديد، وقد درست القرآن الكريم عند (الملا) أي في الكُتاب، والحقيقة أن هذا الأمر أفادني كثيرا، ومن بعد ذلك دخلت المدرسة الابتدائية في مدرسة ابن الأثير للأحداث، واستمر ذلك حتى الصف الثالث الابتدائي ، ثم بعد ذلك نقلت إلى مدرسة باب البيض للبنين ثم انتقلت للمتوسطة الغربية ، وبعدها الإعدادية المركزية، وقد استفدت خلال دراستي إلى جانب أنني تعلمت الكثير من العلوم، واستطعت صقل مواهبي، وفي سنة ١٩٥٠م تخرجت لأدخل بعدها (دار المعلمين) لرغبتي في دخول هذا الميدان لأنني أؤمن بأن للعلم مكانة ، وأن الأمة لا يمكن أن تنهض دون أن تهتم بالعلم والتعليم، وعينت معلما في قرية (المحلبية) التابعة لقضاء الموصل" .

اعود الى كتاب الاستاذ فوزي عفيفي لأقول ان في الكتاب، ترجمة للفنان المبدع يوسف ذنون بقلمه ..انه يوسف ذنون عبد الله ألنعيمي ..درس في الموصل وعمل معلما ومسؤولا عن الخط العربي في مركز النشاط المدرسي هناك. وعندما أحال نفسه على التقاعد في الأول من تشرين الثاني – نوفمبر سنة ١٩٨١ .. كان مشرفا تربويا اختصاصيا في شؤون الخط والتربية الفنية ، وبعد تقاعده تفرغ للخط واشتغل خبيرا للمخطوطات في العراق .

تتلمذ على يد الخطاط التركي الكبير حامد الامدي ، ونال الإجازة منه ويقول الاستاذ يوسف ذنون عن هذه المرحلة من حياته وعلاقته بالخط العربي :"الإجازة الأولى التي حصلت عليها من الخطاط التركي حامد الآمدي ، لم تكن نهاية المشوار بل كانت بداية الانطلاقة" . وعندما سألته المحاور عن كيفية تطوير هوايته في مجال الخط ووصوله الى الابداع فيه قال :"كان التميز من خلال الاعتماد على طريقة خاصة بدأت بها مشواري، وهي رسم الحروف بقلمين ثم تلوينها، وهذه البداية المتواضعة جعلتني أمام خيارين : إما أن أعتني بها لتكبر وإما أن أتجاهلها لتموت، فقررت الاهتمام بها ولذلك سرعان ما وجدتني أسعى إلى وسيلة التثقيف الذاتي في كل الأنماط، فنمت لدي النواحي الأدبية والتاريخية والفنية واستطعت أن ألمّ بحصيلة جميلة من هذه النواحي، وهذا الأمر ساعدني كثيرا فيما بعد لأن الثقافة بوابة من خلالها يستطيع الإنسان أن يدخل على كل المجتمعات وأن يتواصل مع العالم بشكل مباشر" .

ويتوسع في سرد قصة حصوله على الاجازة من الاستاذ حامد الامدي فيقول :"سعيت لمعرفة المستوى الذي حققته في الخط العربي فسافرت إلى مصر لعلّي أشارك في امتحانات مدارس تحسين الخطوط وكان ذلك سنة ١٩٦٣م، ولكنني واجهت بعض المعوقات من بينها لزوم الدوام هناك ، والامتحان بعد ذلك، وهذا يتعارض مع وظيفتي كمعلم. لم تنجح محاولاتي الكثيرة فقررت الذهاب إلى تركيا وذلك لوجود بعض الخطاطين من البقية الباقية من العهد العثماني إلى ذلك الوقت، وكان على رأسهم الخطاط المبدع حامد الآمدي رحمه الله، فعرضت عليه نماذج من خطوطي الشخصية ، فأعجب بها لأنني لم أقلد أي لوحة من كتابات غيري من السابقين ، بل كانت كتاباتي من بنات أفكاري. ومع هذا فقد خضت اختبارات عديدة منها أن الخطاط الرائع حامد الآمدي طلب مني أن أكتب أمامه ليتأكد من إمكانياتي الحقيقية ، فكنت أكتب بسلاسة ، وبسرعة الكتابة الاعتيادية، والمعروف عندهم آنذاك أن الخط يكتب ببطء شديد ، ولذلك قال لي : " أنت تستحق الإجازة" . ولم أكن قد أعددت لوحة للإجازة فأخذ، رحمه الله، واحدة من لوحاتي التي قدمتها بين يديه ، وكان في أسفلها فراغ بسيط فكتب لي فيها إجازته لي بالخط وكانت تلك هي الإجازة الأولى" .ويضيف ليقول :" و بعد الحصول على الإجازة الأولى تتابعت مراجعاتي للخطاط حامد الآمدي في اسطنبول لاكتساب خبرات اكبر منه .. وفي سنة ١٩٦٩م منحني ما أسميه تقديرا منه ، وما يعد بمنزلة إجازة ثانية لي يشيد فيها بتميزي بالخطوط المختلفة التي كنت أجيدها كلها تقريبا " .

ارتبط الاستاذ يوسف ذنون بعلاقات طيبة مع خطاطين كبار منهم هاشم البغدادي، ومحمد إبراهيم الاسكندراني ، ومحمد حسني المصري، ، ومحمد بدوي الديراني الدمشقي ،ونجم الدين اوقياي التركي ، وأبو بكر الساسي الليبي ، واحمد ضياء الدين المدني السعودي ، وعبد الحميد اسكندر الجزائري وغيرهم.

كانت للاستاذ يوسف ذنون خبرة جمة في الآثار الإسلامية والعمائر الدينية ويرجع إليه طلبة الدراسات العليا للاستشارة والاستفادة .كما انه عالم في تحديد اتجاه القبلة ،وقد حاضر في جامعة الموصل وفي أقسام الآثار واللغة العربية .وله دراسات في المخطوطات ونشر دراسات وبحوث في التراث الموصلي والعربي والإسلامي والعالمي، وشارك في تأسيس جمعيات للتراث العربي والخط العربي وترأس بعضها وخاصة في الموصل .وقد أقام معرض كثيرة للخط في داخل العراق وخارجه .كما أقام دورات تدريبية للطلبة في الخط على مدى ٤٠ عاما .قد نال العيد من التقديرات والجوائز التكريمية .له من الأبناء والبنات ١٤ كلهم ناجحون في حياتهم ومنهم من هو أستاذ في كلية الهندسة وهو الدكتور عمار ومنهم من هو ضابط في القوات المسلحة أو موظف في الحكومة .

(كتب الدكتور ابراهيم العلاف الكثير عن الراحل يوسف ذنون ، وقد اخترنا هنا بعض الفقرات مما كتبه) .

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق
الاخراج الفني: علي كاطع
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
WWW. almadasupplements.com

رحيل فقيه الخط العربي يوسف ذنون

قبل اشهر قليلة رحل فنان الخط العراقي يوسف ذنون (١٩٣١ - ٢٠٢٠) الـذي عُرف بـ " فقيه الخط العربي " و "شيـخ الخـطّاطين العراقيّين"، في مسقـط رأسه الموصل، حيث توفي في أحد مستشفياتها إثر تردي حالته الصحية في شهر تموز الماضي .

عمـل ذنـون مدرساً، وبـرع في الرسـم صغيراً وبـدأ شغفـه بالحروف ورسمهـا من دفاتـر المدرسة المبكرة، وقد تعلّم الخـط بشكل ذاتي قبل أن يحصل عام ١٩٦٦ علـى شهادة من الخطاط التركي حامد الآمدي، وهذه إحـدى الإجـازات صعبة المنال، إذ لم يكن الآمدي يمنـح شهاداته إلّا بعد أن يتأكّد من قدرة الخطّاط على الكتابة بكافة أنواع الخطوط العربية.

اشتهـر "شيـخ الخـطّاطين" بالكتابـة على العمـارة الإسلاميـة، فعرفت خطوطـه في مساجـد العـراق مثـل "جامع النـوري"، و"جامـع المثنى" و"جامـع فخري شنشل"، والأخير يضم ٣٠٠ متر مـن الكتابة قسمٌ منها نقش على الحجر وآخـر على الجص وآخـر على القاشـاني، وقد صنع الفنّـان قلماً خاصاً به مـن المعدن يحمل الحبر بطريقـة معينة لكي يكتب مباشرة من دون قوالب.

للراحـل نقوش على أكثر ٢٥٠ مبنى في بلـدان مختلفة، من بينها جامعة الموصل التي كتب على بوابتها "وقل ربي زدني علماً" بالثلث الذي يصفه بأنـه "أشرف أنواع الخطوط". كما كتب أبجدية لشركة سويسريه تمثّل مختصرات مرسومة لكلمات ومصطلحات.

اعتُبر ذنون واحداً من "سحرة الأرض" الذي ضمهم كتاب أصدره "مركز بومبيـدو" عام ١٩٨٩ في فرنسـا وضمّ مئة فنان من الأمهر في مجالاتهم حول العالم والذين يشكل فنهم تحولاً فيها.

هـذا المقال كتبـه الاكاديمي والباحـث المعروف الراحل عمـر الطالب عن صديقه ذنون ايوب ونشره اعلام موسوعة الموصل.

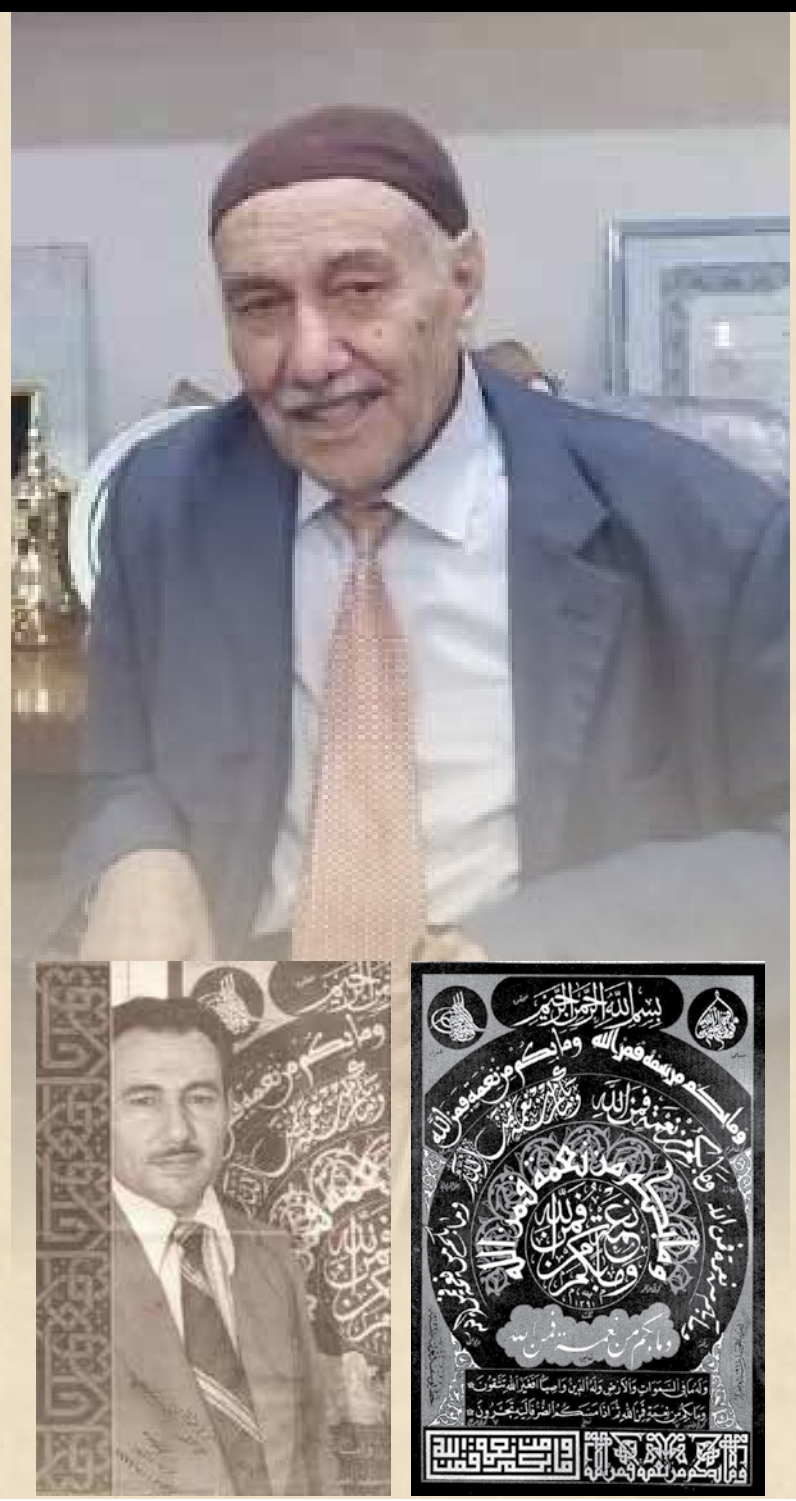

يـوسـف ذنـون

د . عمر الطالب

الخطـاط الموصلـي القديـر ، ولد يوسف ذنـون عبد الله في محلة بـاب الجديد، دخل مدرسـة ابن الأثير للأحـداث عام ١٩٣٩ ومنهـا إلى مدرسة باب البيضـ للبنين عام ١٩٤٢ والتحـق بالمتوسطة الغربية عام ١٩٤٥ثـم المدرسـة الإعداديـة المركزية وتخـرج فيها عـام ١٩٥٠ ملتحقاً بالـدورة التربويـة ذات السنة الواحـدة بالموصل وتخرج فيها عام ١٩٥١، عين معلماً في مدرسة المحلبية عام ١٩٥١ وأنتقل إلى مدرسة حمـام العليل عـام ١٩٥٦ فمدرسة ابن حيان عام ١٩٥٨ثم انتقل إلى مركـز وسائل الإيضاح بعد افتتاحه ومنـه إلى متوسطـة الوثبـة عام ١٩٦٠درس علـى آثار علماء الخـط العربي ونال الإجـازة من الخطاط التركي حامد الآمدي عام ١٩٦٦ وحصل على تقدير منه لبروزه في مختلف فنون الخط.

درسـ في معهـد المعلمين بين عامـي١٩٦٢-١٩٦٩ الخـط العربي والتربيـة الفنية ثم انتقـل إلى ثانوية الرسالـة وأصبح مسؤول الخط العربي في النشاط المدرسـي وأصبح مشرفاً تربوياً للتربية الفنية عام ١٩٧٦ وقـد ساعدتـه مثابرته وعمله السياسي مع القوميين العرب على التقـدم السريع وكان يعد واحداً مـن الخمسـة البارزين في هـذه الحركة عبد الباري الطالـب، وحسين الفخري وسـالم الحمداني وغانم يونسـ وهو . وأحيل إلى التقاعد عام ١٩٨١ وقد عقد ندوات ومحاضرات في تاريخ وتطور الخط وأقام دورات عامـة لتعليم هذا الفـن الإسلامي بالموصل وله آثار فنية في الخط واللوحات على كثير من الكتب والمجـلات، كتب لوحات وأشرطة أربعة وأربعين جامعاً حتى نهاية عام ١٩٧٦. وأقام معارض في الخط العربـي ودرب طلبته علـى الخط منذ عام ١٩٦٢، ويسهم هو وطلابـه في معارض بغداد منذ عام١٩٧٢. كـرم مـن قبل رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر عام ١٩٧٢ بمناسبة إقامة معرض الخط العربي الأول ببغداد.

شارك في تأسيس جمعية التراث العربي في الموصل وهو عضو في جمعية الخطاطين العراقيين وعضو فخري في جمعية رابطة الخريجين لتحسين الخطوط العربية في مصر.

من مؤلفاته: ١-درس التربية الفنية ١٩٦٥ ٢-خلاصة قواعد خط الرقعة ١٩٧١ ٣-الخط الكوفي ١٩٧٢ ٤-مبـادئ الزخرفة العربية (التوريـق) ١٩٧٢ ٥-تحسين الكتابة الاعتيادية ١٩٧٨ ٦-قواعد خط الرقعة ١٩٧٨ ٧-قواعـد الخط الديـواني١٩٧٨. ٨-الواسطي موصلياً ١٩٩٨. ولـه بحوث ومقالات نشرها في الصحـف والمجـلات وألقاها في المؤتمرات والنـدوات التي شارك فيها والمحاضـرات العامة التي ألقاها عن الخط العربي.

عن (موسوعة اعلام الموصل)

عراقيون
من زمن التوهج
ملـحق أسـبـوعـي يـصـدر عـن مـؤسـسـة
الـمـدى لـلإعـلام والـثـقـافـة والـفـنـون